مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 22 العدد 1 السنة 2021 ص124ص158
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

البعد الجبلي للمغرب الأوسط، بين الحصانة والعزلة والادوار التاريخية

The mountain dimension of central Morocco, between immunity, isolation and historical roles

د. علي عشي [1]

[1] جامعة باتنة 1، ali.achi@univ-batna.dz

تاريخ الاستلام: 2021/05/ 01 تاريخ القبول: 23 / 2021/12

Abstract:

The relationship of the mountains to the experiences of rule, expansion and foreign conquest throughout the history of the countries of the Middle Maghreb, was characterized by a close connection, considering the mountains as one of the most widespread terrain features in it Tribes, authority and armies must adapt to it.

Hence, we can present our problem: Was the mountain a factor of strength, building and fortification in the area of the Middle Maghreb, or was it a cause of social and cultural isolation.?

Keywords: the mountains; the central Maghreb; the Rustamids, the Fatimids; the Hammadids.

المؤلف المرسل: علي عشي
البريد الالكتروني: ali.achi@univ-batna.dz

الملخص:

إن علاقة الجبال بتجارب الحكم والتوسع والغزو الأجنبي عبر فترات تاريخ بلاد المغرب الأوسط، قد تميزت بالارتباط الوثيق باعتبار الجبال من أكثر المظاهر التضاريسية المنتشرة به؛ ولا بد للقبائل والسلطة والجيوش التكيف معها.

ومن هنا يمكننا طرح اشكاليتنا: هل كان الجبل عامل قوة وبناء وتحصين في مجال المغرب الأوسط، أم كان سببا للانعزال الاجتماعي والثقافي ؟

الكلمات المفتاحية: الجبال؛ المغرب الأوسط؛ الرستميين؛ الفاطميين؛ الحماديين.

العرض :

1. مقدمة:

شكل البعد الصحراوي والبعد المتوسطي لبلاد المغرب معبرا ملائما لاختراق الصحراء الكبرى نحو بلاد السودان، أو لاجتياز البحر في اتجاه أوروبا، إضافة إلى البعد المشرقي، رغم ما كان يكتنفه من مخاطر قطاع الطرق خلال بعض حقبه التاريخية، دون اغفال بعده الجبلي باعتبار الجبال من أهم مميزات البيئة الشمالية لبلاد المغرب.

وظلت الجبال في المغرب تشكل قبل الفتح وبعده «مجال الفعل الإجرائي المسيطر على الحياة السياسية والعسكرية للمنطقة كلها»[1] وبخاصة في المغربين الأوسط والأقصى حتى أن القبائل التي كانت أكثر مشاركة في أحداث المغرب تسكن المناطق الجبلية أو قريبة منها، مثل زناتة وفروعها في الأوراس. ولم يكن دور القبائل الساكنة في الجبال هو الإغارة على مناطق السهول والعمران، بل ركبوا خيولهم وامتطوا إبلهم وجابوا الأرض سعيا وراء الرزق وأسباب العيش.

ومن هنا يمكننا طرح **الإشكالية** الآتية:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

هل كان الجبل عامل قوة وبناء وتحصين في مجال المغرب الأوسط، أم كان سببا للانعزال الاجتماعي والثقافي ؟ وتندرج تحت الإشكالية الرئيسية عدة تساؤلات فرعية تبين خارطة الطريق لمناقشة الموضوع.

لماذا استغل الجبل في جميع المراحل التاريخية لمختلف دويلات المغرب الأوسط ؟ وكيف تم استغلاله حتى من طرف المتمردين والمنشقين؟.

كيف تمكن سكان المناطق الشمالية من استغلال الجبال في حياتهم الساحلية البحرية؟ وكيف تعامل سكان المناطق الداخلية مع الكتل الجبلية المحيطة بهم؟

ماذا قدمت البيئة الجبلية للقبائل المستقرة بها ؟ وما هي الثروات الغابية والحيوانية التي تزخر بها مختلف جبال المغرب الاوسط؟

وعلى العموم سنتبع منهجا تاريخيا باعتبارنا نسرد أخبارا وحقائق تاريخية؛ إضافة إلى المنهج الوصفي الجغرافي الملائم لطبيعة الموضوع وهو الجبل ودوره التاريخي.

تندرج مساهمتنا هذه ضمن محور تاريخ المغرب: الأدوار والوظائف.

وسنناقش الإشكالية السابقة وفق خطة متكونة من:

2. رمزية الجبل في التراث الاسلامي:

قليلة هي المادة المكتوبة عن مناطق الجبال في بلاد المغرب رغم أن الجبل كان « يحتل حيزا هاما في فضاءات الحراك الاجتماعي والذهني للعرب»[2] فقد كان الجبل رمزا للعلو والرفعة، إذ كان مقصدا للعباد والزهاد، ومأوى للثوار والمعارضين.

وإذا نظرنا إلى الطبيعة الجغرافية للمغرب، فستبدو لنا كتلة واحدة متشابهة إلى حد كبير في التضاريس والبيئة والمناخ، وحتى في الظروف الاجتماعية المتجانسة، فهناك سلاسل جبلية ضخمة تخترق البلاد من الغرب إلى الشرق، واصلة بين المغربين الأقصى والأدنى، حيث ترتفع في الشمال سلسلة جبال الريف من المحيط إلى تلمسان بمحاذاة سهول ساحلية ضيقة وهي جبال متوسطة الارتفاع[3]، وإلى الجنوب منها تمتد سلسلة جبال الأطلس كجدار مرتفع يصل أحيانا أربعة آلاف متر[4] فتعرف هنا بأطلس العظمى، لأنها الجزء الأكثر ارتفاعا وضخامة من هذه السلسلة، ثم يتفرع منها قسم جنوبي متوسط الارتفاع أيضا يعرف بأطلس الداخلة أو أطلس الصحراء، وقسم شمالي له نفس الارتفاع تقريبا، يعرف بأطلس الوسطى[5]، ويعرف جبل الأطلس الصحراوي باسم «درن" والواقع أنه يأخذ أسماء كثيرة تختلف من بلد لأخر، فهو في بلاد المصامدة "الكلاوي"، وفي داخل بلاد البربر" العياشي"، وأوله عند المحيط من جهة الغرب، وآخره على ثلاث مراحل من الإسكندرية[6].

أما عن المغرب الأوسط فتحصره سلسلتين جبليتين أولى تضغط على السهول والسواحل الشمالية وتعرف بالأطلس التلي، و بعدها باتجاه الجنوب نجد جدار من الجبال الشاهقة، تعرف بسلسلة الاطلس الصحراوي، تمتد من الشرق إلى الغرب[7].

أعطى القرآن الكريم أدق التفاصيل للجبال، حيث وردت كلمة الجبل في ستة مواضع بصيغة الإفراد، وذكرها في صيغة الجمع ثلاثا وثلاثون مرة، ففي الوضع الثاني يتحدث القرآن عن الجبال باعتبارها من آيات الله في الأرض والكون[8].

وهذا نبي الله نوح يدعو ابنه العاق لركوب السفينة والنجاة من الغرق، لكنه يأبى إلا اللجوء إلى الجبل طلبا للحماية. وهو ما يبين لنا مكانة الجبال في التحصن والمناعة الطبيعية، قال تعال:« **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ**

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ، قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ»[9] وقد زادت الجبال أهمية وتشريفا أن الله عز وجل عرض عليها أمانة التكليف فأبت لعظمها عندما قال سبحانه «**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** »[10] ولما كانت من المخلوقات الطائعة المنقادة لحكم الله وقدرته لم يكن منها إلا أن تخشع وتخضع، قال سبحانه: « **لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** »[11].

كما أن هناك آيات تشير إلى شكل الجبال المرتفع من الأرض الوعرة التسلق، كقوله تعالى:«**وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا**»[12].

تروي كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كان يرتفع إلى جبل للتحنث والتعبد ليال ذوات العدد حتى بُعث نبيا[13]، وكانت العرب تفخر بجبالها، قال أحدهم:

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يردّ الطرف وهو كليل

رسا أصله تحت الثرى وسما به إلى النجم فرع لا يرام طويل[14]

وقال إبراهيم بن خفاجة الشاعر الأندلسي:[15].

ألا كم كنت ملجأ فاتك وموطن أواه وموئل تائب

يرى الأستاذ عبد الحميد الفهري أن الجبل يكتسي مكانة خاصة في التراث الإسلامي، ففي معاجم البلدان ما يزيد عن 300 اسم لجبل في بلاد العرب ومنها بلاد المغرب، مما يوفر بعض المواد على قلتها يمكن أن تقودنا إلى الوقوف على بعض الجوانب الاجتماعية والأنثروبولوجية لسكان الجبال[16].

وإذا كانت فكرة التقديس سيطرت على جبال المشرق الإسلامي بسبب انتشار التشيع والفكر الخارجي، إذ نُسجت روايات تظهر مكانة بعض الجبال، كجبل رضوى[17] الذي تعتقد بعض فرق -الشيعة بأنه يحتضن عليا وأبناءه إلى اليوم الذي يبعثون لتخليص البشرية من الظلم وتكريس العدل بين الناس، فإن الجبال في المغرب ظلت تشكل قبل الفتح وبعده «مجال الفعل الإجرائي المسيطر على الحياة السياسية والعسكرية للمنطقة كلها»[18] وبخاصة في المغربين الأوسط والأقصى، حتى أن القبائل التي كانت أكثر مشاركة في أحداث المغرب تسكن المناطق الجبلية أو قريبة منها، مثل زناتة وفروعها في الأوراس، ولم يكن دور القبائل الساكنة في الجبال هو الإغارة على مناطق السهول والعمران بل ركبوا خيولهم وامتطوا إبلهم وجابوا الأرض سعيا وراء الرزق وأسباب العيش.

3. الجبل وأهميته في الجانب السياسي والعسكري لدول المغرب الأوسط:

إن علاقة الجبال بتجارب الحكم والتوسع والغزو الأجنبي عبر فترات تاريخ بلاد المغرب، قد تميزت بالارتباط الوثيق باعتبار الجبال من أكثر المظاهر التضاريسية المنتشرة به؛ ولا بد للقبائل والسلطة والجيوش التكيف معها.

فقد عرف تاريخ فن الحرب منذ أقدم العصور تجارب كثيرة لقتال الجبال وقد يكون من المفيد التوقف قليلا عند بعضها، إضافة إلى نماذج لمقاومات جبلية من خلال وقائع عسكرية وسياسية.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

فقد كانت الجيوش تتجنب قدر الإمكان اقتحام الجبال أو خوض المعارك في متاهاتها، لهذا كانت عادة ما تلتف من حولها أو تتحرك على جانبها أو تعبرها عبر دروبها وهو ما فعله حنبعل (247-183 ق.م) عند قطعه لجبال البرتات سنة 217 ق م، ثم جبال الألب ليباغت روما، وبقي من أروع التجارب التاريخية للمباغتة الحربية عبر الجبال[19].

وبمجيء الاسلام وقعت غزوة أحد[20]، بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما قبيلة قريش فكانت بقيادة أبي سفيان بن حرب، حيث حصلت بعد عام واحد من غزوة بدر، -وسميت الغزوة بهذا الاسم نسبة إلى جبل أحد بالقرب من المدينة المنورة، الذي وقعت الغزوة في أحد السفوح الجنوبية له[21]،كانت خطة المسلمين في المعركة هي أن يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة أمامه، وجبل أحد خلفه، ووضع خمسين من الرماة على قمة هذا الجبل المشرف على ميدان المعركة، وكان قائدهم هو عبد الله بن جبير، وأمرَهم الرسول صل الله عليه وسلم بالبقاء في أماكنهم وعدم مغادرتها إلا بإذن منه، لكنهم خالفوا الأمر بمجرد الانتصار الأول ونزلوا الى ساحة المعركة مما جعل جيش قريش بقيادة خالد بن الوليد الالتفاف حول الجبل ومباغتتهم مما أدى الى انهزامهم[22].

وبعد أن انتشرت الفتوحات الإسلامية إلى الشرق والغرب برزت أهمية الجبال أكثر ودورها في سياسات الحروب ففي الفترة (14-17هـ/635-638م) كانت جيوش العرب المسلمين قد فتحت الشام والعراق، ويومها أصدر عمر بن الخطاب أوامره

بالتوقف عند تخوم جبال زاغروس شرقا مع الفرس، وشمالا عند جبال الأمنوس مع الروم، وكان ذلك قرارا مذهلا إذ عد الجبل حاجزا طبيعيا لا يجوز زج القوات الإسلامية في متاهاته إلى غاية دراسة كل معابره للاستئناف[23].

وفي فتح المغرب تحركت جحافل الفتح الاسلامي على المحاور الساحلية متجنبة بذلك الدخول إلى عمق المناطق الجبلية ما يسهل من مهمة الجيوش في التوغل بعيدا عن كمائن الجبال[24]، وبعد أن تم التعرف على مداخلها ومخارجها واستطلاع مجاهلها، مع الإفادة من الجبال لحماية أجنحة جيوش الفتح، وعند انتقال المسلمين لفتح الاندلس(92هـ/711م) نظم طارق بن زياد أشهر (سد استراتيجي) في وادي لكة حيث تم الاستناد الى الجبل لتنظيم ترتيب قتالي عميق للصمود في وجه القوط[25].

كما أن الجبل هو الذي احتضن بين ثناياه، ولمدة من الزمن إحدى أعظم المقاومات في تاريخ المغرب الأوسط وهي مقاومة الكاهنة وتركز الثوار بجبال الأوراس، حيث دخل حسان بن النعمان إفريقية، وبدأ الصراع مع البربر في جبل أوراس بقيادة الكاهنة[26]، إذ سأل عمن بقي من أعظم ملوك إفريقية ليسير إليه فيبيده أو يسلم، فدلوه على امرأة بجبل أوراس يقال لها الكاهنة[27]، يقول الرقيق القيرواني:"و-جميع من بإفريقية منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون"[28].

وبلغ الكاهنة خبر مسير المسلمين فرحلت من جبال الأوراس في خلق عظيم، و التقى الجيشان و-تقاتل الجمعان، و-انتهت الحرب لصالح المسلمين و-انهزمت الكاهنة، حوالي 80هـ أو82 هـ/701م في -منطقة بجبال الأوراس سميت فيما بعد ببئر الكاهنة[29]، وهذا بفضل تفطن حسان بن النعمان ودراسته للطرق والمسالك الجبلية التي كان ضحية لها في المعركة الأولى.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1.3. مكانة الجبل في تاريخ الدولة الرستمية:

عندما أفلت عبد الرحمان بن رستم من قبضة عبد الرحمان بن حبيب وخرج من القيروان جادا في المسير سنة 144 هـ/761 م [30] حتى انتهى به الطريق إلى جبل سوفجج [31]، وما إن وصل ابن رستم إلى سوفجج حتى سمع به "وجوه الإباضية وعلمائها فقصدوه من كل النواحي حتى اجتمع عنده من طرابلس وجبل نفوسة من العلماء، فقط ما يزيد على ستين من أكابر العلماء وأهل الفضل والرأي"[32].

وتعتبر منطقة سوفجج من أمنع المناطق الجبلية في المغرب الأوسط، فسوفجج هو الجبل الرابع من سلسلة الجبال التي تمتد من مدينة (السوقر) في الجنوب الغربي لمدينة تيهرت، ومدينة شلالة في الجنوب الشرقي منها[33]، وحول هذا الجبل كانت مواطن لماية ولواتة وهوارة، وهي قبائل قوية الصلة بالمذهب الإباضي بل إن لماية كانت على صلة قوية بعبد الرحمان بن رستم، لذا فقد آثر أن ينزل بين أبناء هذه القبيلة[34].

أخذت أخبار عبد الرحمان بن رستم تملأ الآفاق في المغرب الأوسط حتى وصلت مسامع محمد بن الأشعث في القيروان، فجهز جيشا سار به نحو سوفجج ونزل في سفحه وحفر خندقا حول معسكره خوفا من هجوم عبد الرحمان بن رستم ومن معه عليه، وظل محاصرا للجبل مدة طويلة حاول خلالها اقتحام الجبل بكل الوسائل ولكنه فشل[35] واضطر إلى فك الحصار والعودة إلى القيروان بعد أن تفشى

داء الحمى والجدري بين جنوده ومات منهم خلق كثير، وانسحب إلى القيروان قائلا: "إن سوفجج لا يدخله إلا دارع ومدجج"[36].

أخذت فلول الإباضية تتجمع، وتتكاثر على جبل سوفجج الذي اتخذوه مكانا يتدربون فيه على القتال[37]، وحتى عملية اختيار موقع العاصمة تاهرت هي بعيدة عن خطر العباسيين، حيث تقع في منطقة داخلية منطوية على نفسها في السفح الجنوبي لجبل كزول، لذا فهي تدير ظهرها للبحر وتوجه أنظارها نحو الداخل، وهذا يمثل موقعا استراتيجيا لحماية دولة ناشئة يحيط بها الأعداء من كل جانب[38].

وكان الإباضية بجبل نفوسة يتمتعون بنوع من الاستقلال الذاتي عن نفوذ الدولة العباسية منذ زمن عبد الرحمان بن رستم، وفي عهد ابنه عبد الوهاب ازدادت الصلات بينه وبين إباضية هذا الجبل قوة[39] تقول رواية الشماخي إن عبد الوهاب طلب من أهل الجبل أربعمائة نفر، مائة من الفرسان للمبارزة، ومائة مفسر، ومائة متكلم، ومائة فقيه عالم بفنون الحلال والحرام[40].

وعندما التقى جيش قبيلة الأوس الاباضية وجيش عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم عند نهر أسلان وانتهت المعركة بهزيمة الأوس ورحلة بقاياهم إلى جبل ينجان"يكجان"، وهكذا بذل عبد الوهاب جهودا مضنية للاحتفاظ بوحدة الدولة الرستمية وتوطيد دعائمها وتمكن بفضل هذه الجهود من القضاء على الفتن والثورات الداخلة[41] كل هذه الأحداث تبين لنا مكانة الجبل ضمن الأستوغرافيا التاريخية الاباضية.

3.2. الجبل دار هجرة للفاطميين ومركز للمتمردين:

عندما طلب حجاج كتامة من أبي عبيد الله الشيعي المسير معهم إلى بلادهم، ولما وصلوا في ربيع الأول 288هـ "نزل بفج الأخيار بجبل إيكوجان ببلاد كتامة"[42]،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ويعود سبب اختيار الداعي لبلاد كتامة أي منطقة القبائل الصغرى الحالية، كونها منطقة جبلية وعرة، وبعيدة عن عاصمة الأغالبة رقادة في الطرف الشمالي الغربي، فهي بذلك الإطار الأمثل لمهمة الداعي أبي عبد الله، بفضل جبالها وهضابها العالية الخصبة[43]، وجبال البابور المنيعة[44]، وصخور تازروت القاسية دون أن ننسى وجود خزان من المؤمنين بقضيته والمدافعين عنه، كما أنها تستند من الناحية الغربية على الجبل المسمى الآن جبل سيدي ميمون الذي يتصل بدوره بجبل مقرس في الجنوب، وبجبل البابور في الغرب وجبال بني مجالد في الشمال، ويعلوا المكان والمناطق المجاورة له، حيث يمكن مراقبة العدو منه على مسافات بعيدة فهذه إحدى المميزات التي جعلته يختارها ويبني بها قلعة هي دار هجرته كما تتوسط القلعة قبيلة كتامة التي قصدها واعتمد عليها في نشر دعوته[45].

وكانت قلعة إيكجان ملجأً منيعا في جبالها يطل على منطقة زراعية تقع شمالي بلزمة بين سطيف وميلة وتضم عدة مراكز عمرانية ريفية تقيم فيها مختلف بطون كتامة، وتمتد هذه المنطقة الشاسعة على مسيرة خمسة أيام طولا وثلاثة أيام عرضا، وتبعد عن رقادة بمسافة عشرة أيام، مما يجعلها في مأمن من رقابة السلطة المركزية والحصون المجاورة لها، وهي بلزمة وسطيف وميلة التي يمارس أصحابها الحكم باسم الأمراء الأغالبة[46].

وقد حاول إبراهيم الثاني الأغلبي (261-289 هـ/ 875-902م) أن يجذب أبا عبد الله إليه، ولما أخفق في محاولته أرسل إليه حملة سنة 287 هـ/ 900م، انتهت

بالإخفاق، كما أرسل إليه حملة أخرى حلت بها الهزيمة، وهكذا قامت الدولة الفاطمية بفضل الموقع الاستراتيجي الذي احتله أبو عبد الله الشيعي المحصن بالجبال.

وكما كانت الجبال في صالح الفاطميين في البداية لإقامة دولتهم كانت ضدهم في مجمل الثورات المضادة ومنها ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد[47]، حيث خرج أبو يزيد على أبي القاسم القائم بأمر الله ثاني خلفاء الدولة الفاطمية فزحف في سنة 332هـ/ 943م من جبل أوراس واستولى على القيروان وأكثر مدن إفريقية في مدة أقل من أربعة أشهر[48].

لقد أقام أبو يزيد في جبل أوراس مدة قريبة من سبع سنين قبل خروجه منه لغزو مدينة بغاي سنة 332هـ/943م في موضع بجبل أوراس يسميه الداعي إدريس المتوالان ويسميه ابن خلدون النوالات، وهو على ما يظهر على مسافة أربعة وعشرين ميلا من مدينة باغاي[49].

ولهذا كان أبو يزيد غالبا ما يعتمد على قبائل جبل أوراس والحضنة الذين هم أهل دعوته وهم أخلص أنصاره وأثبتهم في غزواته وحروبه، وخاصة قبيلة هوارة[50]، يقول الدرجيني" كان عند إخوانه بالجبل مكرما"[51] فكان بنو كملان[52] في جبل أوراس هم الساعد الأيمن لحركته وبهم قوي واشتدت شوكته واستفحل أمره[53].

اختار أبو يزيد جبل أوراس منطلقا للثورة، لأنه منطقة حصينة توفر له ولإتباعه الحماية والمنعة، مستفيدا من موقع الأوراس القريب من إفريقية والصحراء، كما أن صعوبة مسالكه تقلل من فعالية الجيوش النظامية، وهو الأمر الذي حدث عندما حاول الجيش الفاطمي بأمر من القائم بأمر الله[54] حصار الثائر،

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

لمدة سبع سنوات فاستطاع أبو يزيد فك الحصار وهزيمة الجيش العبيدي باستخدام حيلة إشعال النار في تبن معلق على ذيل الثور[55].

لكن الدائرة دارت على أبي يزيد حيث تمكنوا من الإمساك به في جبل معديد أو المعاضيد كما هو معروف به اليوم شمال الحضنة، وتوفي بعد ثلاثة أشهر من هزيمته وذلك سنة 336هـ/ 948م[56]، وبوفاته انتهت الثورة الكبرى التي زعزعت دعائم الدولة الفاطمية في المغرب وكادت تقضي عليها بفضل تحصن الثائر في جبال الأوراس.

ج) **خصوصية الجبل في الدولة الحمادية:** كان للجبل خصوصية ومكانة ضمن الخطط الحربية للدولة الحمادية والزيرية معا حيث بنيت العاصمة الأولى للدولة الحمادية أشير والتي أسسها زيري بن مناد بين جبال حصينة، والذي بنى سورها هو بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 367هـ/ 978م[57].

وعندما حاول أبناء زيري بن مناد الصنهاجي الخروج عن طاعة باديس وأظهروا الخلاف والمعصية في جملة أعمامه الذين لم يتح لهم التمتع بالحكم والرئاسة فعقد باديس لعمه الداهية حماد على إخضاعهم سنة 390 هـ/1000 م فقتل ماكسن وانحصر أخوه زاوي بجبل شنوة بناحية شرشال[58]

بعد تولي زمام الأمور أول ما فكر فيه حماد هو بناء عاصمة للدولة تكون حصينة منيعة لها موقع استراتيجي ولم يلبث أن بنى سنة 398 هـ/ 1008 م مدينة

القلعة[59]، التي بنيت على منحدر وعر فوق سفوح جبل تقريست(كيانة) على الحدود الشمالية لسهول الحضنة على مسافة ست و عشرين كيلو متر من المسيلة[60].

كما لا يخفى ما لبجاية خلال الدور الثاني من الدولة الحمادية في التصدي لحملة بني هلال من خلال بنائها في منطقة محصنة بالجبال خاصة جبل ميسون العالي[61]، ويساند ذلك العبدري بقوله: "بأنها مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني، موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب"[62]، فقد توقف الزحف الهلالي أمام حاجز جبال القبائل الكبرى[63].

ودون الدخول في التفاصيل الكثيرة والمملة للمعارك الجبلية التي حدثت للجيش الحمادي نقول أن حضور الجبل في الخطط العسكرية الحمادية كان له الحيز الاكبر في ذلك، كما كان الجبل مقصدا للتحصين والتأسيس خلال العهد الموحدي والزياني، حيث كان مهد الدولة الموحدية في جبال تينملل أو تانمللت، وهو الجبل الذي بني به الإمام داره ومسجده[64]، كما أن تأسيس الدولة الزيانية على يد يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م) بتلمسان[65] التي تقع بسفح جبل بني ورنيد[66] مما يجعلها ملتقى الطرق التجارية.

واستطاع يغمراسن اللجوء إلى جبل "بني يزناسن" وقيل "ترني" خلال حملة أبو زكريا الحفصي فتدخلت الداهية السياسية "سوط النساء" (والدة يغمراسن) لإبرام الإتفاق بين يغمراسن ومنافسه الذي أعاده لحاضرته شرط الجباية[67]، ولم يُرضِي الإتفاق سلطان مراكش صاحب السلطة الشرعية[68] مما جعله يجرّ جيوشه ضد تلمسان سنة (646هـ/1248)، فتحصّن يغمراسن بجبل "تامزيزدكت"[69].

وعلى العموم شكل الجبل ملاذا ومقصدا للتحصن والفرار في مختلف فترات الدول، كما شكل حصنا طبيعيا حتى للمتمردين والخارجين عن سلطة الدول.

4. الجبل ودوره في الحياة المعيشية لساكنة المغرب الأوسط:

كان الجبل وما يزال يستأثر باهتمام وجدل بيئي وسؤال لمكانته ضمن المجال المغربي طبيعيا وسوسيولوجيا، وبقدر ما أثير عن الجبل من اهتمام وإنجاز حوله، وما تحقق من أبحاث ذات صلة بقدر ما يُسجل من ندرة في السؤال عن مكانة الجبل كمكون ومعطى ومجال طبيعي معبر في علاقته بالإنسان والثروة والتنمية والتدبير والتباينات والاقتصاد والجهوية والنماء المحلي.

يتميز الشريط الساحلي للمغرب الأوسط، بطغيان الطابع الجبلي فاتخذ فيه السكان ملاجئ طبيعية خلال مختلف الفترات الوسيطة[70]، ويذكر ابن خلدون في ذلك: "مما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر، أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، تكون صريخاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو؛ وهذه كالإسكندرية من المشرق، وطرابلس من المغرب، وبونة وسلا"[71].

وتقدم الجبال للسفن خدمات جليلة كالتقليل من سرعة الرياح وجعل مراسيها مراس آمنة وهادئة، إلا أنها تتحول للجانب السلبي في حالة كونها صخرية ضيقة وقد ذكرت المصادر الوسيطية العديد منها مثل جبال وهران[72]، وجبال شرشال وهي"جبال منيعة يسكنها قبائل البربر"[73]، بالإضافة إلى الجبل الذي يحمي

بجاية جبل ميسون العالي[74]، وجبال إيدوغ التي تحمي مرسى بونة[75]، وجبل شنوة الذي يتقدم في البحر مشكلا رأسا بالنسبة للسفن القادمة من الأندلس[76].

كما أن ميناء بونة يقع بين سلسلتين جبليتين هما جبال إيدوغ ورأس الحارس، اللتين تحميانه من الرياح الغربية والشمالية الغربية[77].

ونتيجة لغارات النورمان على جيجل، مثل حملة جورج الأنطاكي سنة537هـ/1142م، " فوصلوا إلى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال"[78]، أي اختار البربر الابتعاد عن الشاطئ وتركها للغزاة ليعتصموا هم بالجبال حيث يبنون قرى على قممها لا سبيل للغزاة إليها ولا فائدة من إخضاعها[79].

كما أن المدن الداخلية أغلبها محمية بالمرتفعات الجبلية، إذ تذكر المصادر أن المنصور الحمادي بنى مرصد شوف الرياض بالمرايا في أعلى قمة بالجبال الداخلية وهي قمة تاقربوست المطل على قلعة بني حماد[80]، وفي الليل تستخدم النار -في أعلى الجبل كبديل عن المرايا، حيث إذا أحس أي ثغر بخطر خارجي أوقد نارا يراها المحرس الذي يليه وهكذا حتى تستعد كل المحارس لرد الخطر في وقت قصير[81].

وأنشأ أهل سكيكدة قرية في أعلى الجبل يقيم بها الحراس على الدوام لاختبار السفن المتجهة إلى الميناء[82]، وأنشأ عامل قسنطينة منارة مزودة بحراس ومراقبة في أعلى الجبل المطل على سكيكدة[83].

فالمدن الداخلية تراعي في مواقعها أن تكون محمية ومحاطة بالجبال من كل جهة؛ كما أن أغلب المدن الداخلية يربطها طريق يصل بينها أغلبها واقعة على سفوح جبال كالطريق من القيروان إلى تاهرت فلابد من المرور على تبسة الجبلية، ومنها الى دوفانة وطبنة، ثم مقرة والمسيلة، ومنها إلى تاهرت وقدرها المقدسي بخمسة عشر يوما، ومنها إلى فاس[84]، ويقترح المقدسي طريقاً آخر من القيروان إلى سطيف على

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

عشر مراحل، مارا بتبسة وبغاي ثم نقاوس[85]، ومنها إلى تاهرت عشرون مرحلة ومنها إلى فاس خمسون مرحلة[86]، وهذا طريق الهضاب العليا فيه الكثير من المدن والحواضر الكبرى خاصة في منطقة جبل الأوراس، كلها محصنة بالجبال المحاطة بها طبيعيا.

والزحف الهلالي لم ينتشر في المغرب الأوسط بسرعة نظرا لوجود عائق الجبال ولم يصل إلى الشاطئ، فقد توقف الزحف أمام حاجز جبال القبائل الكبرى، والأوراس[87]، ولم يتقدم إلا في العهد الموحدي.

والجبل بالمغرب الأوسط مجال ترابي واسع وصعب في آن واحد؛ وغني بجملة من الثروات الحيوية حيث تجمع بين المياه والغابات والمعادن وتُحَفِ المشاهد، كما تحوي الجبال العديد من الخيرات والثروات النباتية منها والحيوانية؛ فذكر الرحالة عبد الباسط عن قسنطية:"...رأيت مدينة عجيبة الموضوع، حسنة المجموع، على جبل عال، وتحتها واد عظيم، كثير الخصب والأجنة والبساتين..."[88]، ويذكر البكري عن تلمسان أنها: قاعدة المغرب الأوسط، وأنها مدينة في سفح جبل شجرة الجوز[89]؛ ولجبال قلعة بني حماد شجر مثمر كالتين والعنب ويتخذ بها لبابيد الطيلقان جيدة، وبها الأكسية القلعية الصفيقة النسج[90].

ومدينة جزائر بني مزغناي ...لها بادية كبيرة وجبال فيها البربر كثرة، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال..."[91]، وبالقرب من مدينة أرزيو "جبل كبير به معدن الحديد"[92]، وكان يستخرج من جبال جيجل "كتامة" الحديد

والنحاس والمعادن وتصدر إلى افريقية والمناطق الأخرى[93]، أما الزفت والقطران فيجلبان من جبال بجاية وألبيرة[94]، وتحمل السفن الشمع والجلود من جبل بني بوسعيد إلى شاطئ تنس لبيعها للتجار الأوروبيين[95]؛ وشرشال التي وفرت جبالها القريبة منها الخشب اللازم لصناعة السفن[96]، كما يجلب الخشب من جبال وأودية ببجاية[97]، ووفرت جبال المنصورية الأخشاب لدار الصناعة في بجاية خلال الفترة الموحدية، وهو ما تحدث عنه بيري رايس[98]،كما احتوت جبال الرحمن (ما بين المنصورة والقل) الخشب والنحاس ويصدر إلى مدن إفريقية[99].

ويشير الادريسي إلى جملة من النباتات الطبية في أكناف الجبال المطلة على بجاية، والتي كانت تستعمل في التجارب والعلاج الطبي" مثل شجر الحضض، والسقول وفندوريون والبرباريس..."[100].

وتزود الجبال ساكنتها وساكنة الحواضر المجاورة بالماء باعتبارها خزانا هاما للمياه الجوفية بل وحتى تشكل الاودية والسواقي نتيجة غزارة الامطار المتساقطة فيها نظرا لعلوها الطبيعي وفي هذا يذكر ابن سعيد "وفي شرقي جبال مدغرة جبال يسّر ومنها ينبع نهر يسّر، ويتصل بها من شرقيها جبل وانشريش، ومنه ينبع نهر الشلف الكبير المشهور ويخرج من هذا الجزء ويصب عند مستغانم، وهو مثل النيل"[101].

ويضيف مرمول أن نهراً صغيراً في مملكة تلمسان هو واد التافنة الذي يخرج من جبال الأطلس[102] وواد يسر، ونهر ضخم ينبع من الأطلس الكبير على حدود نوميديا[103].

وبقدر ما اعتبر الجبل، هذا الامتداد الواسع من مجال المغرب الأوسط، غني بالثروات وحصن طبيعي إلا أن واقع الحال في سؤال النماء المجالي المحلي، وسبل تدبير الجبال هو كيف أن الجبل يلعب في الكثير من الاحيان دورا سلبيا من خلال

عزل أهله وسكانه عن العالم الخارجي وعدم تأثرهم بما يحدث بعيدا عنه كبعدهم عن الحضارة والعلم وفي هذا يقول البيذق: "وقد رأى ابن تومرت عند تأسيسه لدعوته ضرورة تعليم أبناء قومه القرآن أولا، فقد كانوا جبليين أميين ديانتهم بسيطة مليئة بالخرافات القديمة، مما لا يسمح لهم فهم رسالته، مما اضطره إلى تدريس طلبته مستعملا اللسان البربري[104].

كما تكون القبائل المنتجعة في الجبال بعيدة عن ثقافة البحر وثرواته، فقد احتار العديد من المؤرخين في كيفية تمكن القبائل البربرية الجبلية من المصامدة البعيدة عن البحر أن تؤسس دولة-الموحدية- قوية بحريا في فترة قياسية[105].

وكانت سلطة الدولة الزيانية متراخية اتجاه قبائل البادية وسكان الجبال، بخلاف سلطتها تجاه سكان المدن (الحضر) التي كانت تتميز بالقهر والسلطان[106]، وجمع الجباية، نظرا لصعوبة الجبال والتكاليف الباهضة من أجل ذلك، وسكان المناطق الجبلية كانت مصدرا للدولة الزيانية والمعين لثرائها فهي تزود جيش الدولة الزيانية بالمقاتلين، ومنها تكسب الدولة خبراتها[107].

وهذه القبائل التي تعيش في الجبال لا تخضع للمراقبة، إنما تكتفي منهم الدولة، بمجرد الولاء والتبعية الاسمية فإذا كانت السلطة قوية، بقيت هذه القبائل البدوية في منتجعاتها تحمي القوافل التجارية، أو تغزو بعضها بعضا، أما إذا ضعفت وعجزت عن فرض نفوذها، فإن سرعان ما تتوغل في أراضي الدولة مستأثرة بخيرات الأرض وسالبة للأموال[108].

ومثال ذلك بعض قبائل بني هلال التي استغلت الجبال لممارسة اللصوصية وقطع الطرق في جبل وسلات بافريقية على مقربة من القيروان[109]، كما تكثر في هذا الجبل حوادث فرار النساء من أزواجهن نحو الحواضر ويلجأن للقضاة ويطالبن بالطلاق بسبب الضرر الذي لحقهن وعدم الانفاق عليهن[110].

4. الخاتمة:

-إن نماء الجبل يقتضي فهم علاقة الإنسان بوسطه المحلي أولا، وكذا العلاقة بين الإمكان الحقيقي والأمر المراد إنماؤه لبلوغ إنجازات بقيمة مضافة على أرض الواقع.

-امتازت البيئة الجبلية الساحلية في المغرب الأوسط بالتعرج والصعوبة مما سهل على اقامة مراسي طبيعية محمية من الرياح بفضل الجبال، إلا أنها تشكل خطرا محدقا في حالة انحصارها وضيقها نظرا لتحطم السفن عليها.

- كما مثلت الجبال ملجأ للقبائل الجبالية اليها للاختباء في حالات الغزو البحري الخارجي والتحصن المؤقت إلى غاية رحيل العدو أو الإعداد لاسترجاع المناطق الضائعة.

-إن المناطق الداخلية تشكل الجبال أغلب مساحتها مما جعل طرقها عبارة عن مسالك برية جبلية صعبة ذكرها العديد من الجغرافيين، وأغلب المدن الداخلية محاطة بالجبال من الجهات الأربعة لتشكل لها حماية طبيعية، منها تيهرت و قلعة بني حماد و المسيلة وغيرها.

– كانت الجبال ولا تزال المورد والمزود للمناطق الحضرية في السهول بالمؤن والثروات الطبيعية كالأخشاب وبعض الفواكه وبتربية الماشية، كما مثلت الجبال الخزان الرئيسي للمياه من خلال أوديتها وينابيعها .

-اعتبار الجبل خزانا هاما للطاقة البشرية الممدة للسهول من أجل العمل، وكذلك المزود للدولة المركزية بالرجال في حالة الحرب، لكن سكان الجبال كانوا يقومون بالإغارة على سكان السهول في حالات الجفاف والقحط والأمراض.

-كما كان للجبل دور سلبي لمساهمته في عزلة ساكنته وحرمانها من الرقي الاجتماعي والثقافي والاقتصادي

5. قائمة المراجع:

-إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة، بيروت 1980.

-ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967.

-ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط القاهرة، 1963.

-ابن الخطيب : تاريخ المغرب في العصر الوسيط . القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال تح: احمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الرباط، 1964.

-ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

-ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992.

-ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

-ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970.

-ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح: محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير، المدينة المنورة- دمشق، 1992.

-ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب ألإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987.

-ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح:ليفي روفنسال وآخرون، دار الثقافة، بيروت ط3، 1983.

-ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تح: ماريا خيسوس بغيرا، ش و ن ت، الجزائر، 1918.

-ابن هشام: السيرة النبوية، تح سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت 2003.

-إحسان عباس: تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، ط1، 1387 هـ/1967

-أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة البعث، قسنطينة، د ت.

-الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989.

-إسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، ب ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980.

-أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، مصر، 1997.

-الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق وفهرسة أحمد كروم عمر بازين، مصطفى ابن ديسو، تقديم إبراهيم بن بكير بحاز، أحمد بن سعود السيابي، ط2، 1423 / 2002.

-البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، مكتبة النثنى، بغداد، د ت.

-البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية، 2007.

-بيري رايس: المسالك والممالك، القسم الخاص بالمغرب، دوسلان، ط2، فرانكفورت، 1993.

-حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ط2، 1908.

-الدراجي بوزيان: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

-الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية و المغرب ،تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، ط1، 1994.

-الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

-سعد زغلول :تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال منشورات المعارف، الإسكندرية، 1993.

-سعود بن عبد المحي الصاعدي و يوسف بن مطر المحمدي: غزوة أحد، الآثار، المعركة، التحقيقات، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، اللملكة العربية السعودية ط1، 1992.

-سمير ذياب سيبستيان: كتاب الجغرافيا العسكرية، دار الجندرية للنشر والتوزيع، ط1، 2012.

-شافية شارن: عنابة الميناء والمدينة "هيبون"، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، بين 7-8 ديسمبر2009.

-الشماخي : كتاب السير، تحقيق ودراسة محمد حسن، أوربيس للطباعة، تونس 1995.

-شوقي ضيف: عصر الدول و الإمارات، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت.

-صلاح الدين الشامي: الوطن العربي دراسة جغرافية، القاهرة 1963.

-عبد الباسط بن خليل الملطي: رحلته إلى شمال إفريقيا، ترجمة روبير برانشفيك، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، مج 185، 1994.

-عبد الحميد الفهري: البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى ، ضمن أعمال ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001.

-عبد الرحمان بن زيدون: أتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، طبعة المغرب، 1929.

-عبد الرحمن بن خلدون :كتاب العبر، دار الفكر، بيروت،1981م، ج7.

-العبدري: الرحلة المغربية، تحقيق بن جدو، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1964.

-علاوة عمارة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات عدد مزدوج 44-45، سبتمبر 2009.

-فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994.

-القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960.

-مارمول: إفريقيا، تحقيق، محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984.

-مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الاسكندرية، 1958.

-مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979.

-محمد بن تاوبت: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد 5، العدد الأول 1957.

-محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، 184-296هـ/800-909م، تعريب: المنجي الصيادي، وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ط2، 1995.

-محمد الطويل: النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط، 1996-1997.

-محمد رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، د م ج، الجزائر، 2011.

-محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1994.

-محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، طباعة عيسى البابي الحلبي و شركاءه ط1، القاهرة، 1974م.

-محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب ألإسلامي دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987/1408.

-مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

-مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

-مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

-مزهودي مسعود: الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، المطبعة العربية، غرداية، 1996 .

-المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ودار صادر، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1991.

-المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1996.

-المقريزي :كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991 .

-موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/1014-1152م) رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000-2001.

-النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

-الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن10 إلى القرن12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992.

-الهادي مصطفى أبو لقمة، و محمد علي الأعور: الجغرافيا البحرية، الدار الجماهرية للنشر والإعلان ليبيا، ط2، 1999.

-هاني محمد أحمد البشبيشي: إعجاز القرآن الكريم في الحديث عن الجبال، بحث في الدراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية، شاه علم، ماليزيا، د ت.

-الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983.

-ولفرد مادلونغ: ثورة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار في الأوراس، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978.

-الونشريسي: المعيار المعرب، نشر وزارة الأوقاف المغربية، 1981.

-ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.

المراجع باللغة الأجنبية:

-Gsell Ct ; Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928

-Robert. Mantran ; La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-I bahriye de PIRI REIS, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n°15 – 16, 2éme semestre, 1973.

الهوامش:

1) عبد الحميد الفهري: البربر الجبالية في المغرب في العصور الوسطى، ضمن أعمال ملتقى التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001، ص140.

[2]) عبد الحميد الفهري: المرجع السابق، ص139.

3) صلاح الدين الشامي: الوطن العربي دراسة جغرافية، القاهرة 1963، ص 71-72.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

4) صلاح الدين الشامي: المرجع نفسه، ص 70.

5) إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة، دار النهضة، بيروت 1980، ص 15.

6) عبد الرحمان بن زيدون: أتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، طبعة المغرب 1347هـ/ 1929، ج1، ص 62.

7) أحمد توفيق المدني: جغرافية القطر الجزائري، مطبعة البعث، قسنطينة، د ت، ص7-8.

8) هاني محمد أحمد البشبيشي: إعجاز القرآن الكريم في الحديث عن الجبال، بحث في الدراسات القرآنية، كلية العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية، شاه علم، ماليزيا، د ت، ص1.

[9]) سورة هود الآية 42-43.

[10]) سورة الأحزاب، الآية 72

[11]) سورة الحشر ، الآية 21.

[12]) سورة المرسلات، الآية 27.

[13]) ابن هشام: السيرة النبوية، تح سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت 2003، ج1، ص189؛ وابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تح: محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، مكتبة دار التراث ودار ابن كثير، المدينة المنورة- دمشق، 1992 ط1، ج1، ص169.

[14]) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج1، ص214.

[15]) نفس المصدر، ج1، ص215.

[16]) المرجع السابق، ص139-140.

[17]) جبل يقع بالقرب من المدينة على سبع مراحل ميامينه طريق مكة، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية مقيم به حي يرزق، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج3، ص51.

[18]) عبد الحميد الفهري: المرجع السابق، ص140.

[19]) سمير ذياب سيبستيان: كتاب الجغرافيا العسكرية، دار الجندرية للنشر والتوزيع، ط1، 2012، ص131.

20) هي معركة وقعت بين المسلمين وقبيلة قريش في يوم السبت السابع من شهر شوال في العام الثالث للهجرة.سعود بن عبد المحي الصاعدي و يوسف بن مطر المحمدي: غزوة أحد، الآثار، المعركة، التحقيقات، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، اللملكة العربية السعودية ط1، 1992، ص9-13.

21) سعود بن عبد المحي الصاعدي و يوسف بن مطر المحمدي: المرجع نفسه، ص57، وما بعدها .

22) نفسه، ص67، ص70 ، 73-76.

[23]) سمير ذياب سيبستيان: كتاب الجغرافيا العسكرية، ص132.

24) علاوة عمارة وزينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 44-45، سبتمبر 2009، ص28.

25)سمير ذياب سيبستيان: كتاب الجغرافيا العسكرية، ص133.

26)سعد زغلول :تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال منشورات المعارف، الإسكندرية، ج1، 1993، ص222.

كانت الكاهنة تقطن جبال باغية قرب مسكيانة بسفوح الاوراس الشامخة، وهي بنت تيفان الزناتية من بني جراوة من القبائل البربرية البترية الكبيرة التي ستنتقل من الحياة الوبرية الرعوية الى الحياة المدرية القائمة على الاستقرار والتمدين و بناء الممالك. عبد الرحمن بن خلدون :كتاب العبر ،ط1،دار الفكر ،بيروت،1981م،ج7،ص11-13.

27) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح:ليفي روفنسال و آخرون، ،دار الثقافة، بيروت ط،1983، ج1، ص35.

28) الرقيق القيرواني:تاريخ إفريقية و المغرب ،تح: محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر و التوزيع، ط1، 1994، ص46.

29) ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق،ج1، ص34.

30) الشماخي : كتاب السير، تحقيق ودراسة محمد حسن، أوربيس للطباعة، تونس 1995، ص 132.

31) محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، طباعة عيسى البابي الحلبي و شركاءه ط1، القاهرة، 1974م، ج 3، ص256.

32) الباروني : الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق وفهرسة أحمد كروم عمر بازين، مصطفى ابن ديسو، تقديم إبراهيم بن بكير بحاز، أحمد بن سعود السيابي، ط2، 1423 / 2002 ، ج2، ص3.

33) محمد علي دبوز: المرجع نفسه، ج3 ، ص257.

34) ابن خلدون: العبر، ج6، ص247 .

35) الشماخي : المصدر السابق، ص 133.

36) محمد بن تاويت: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد 5، العدد الأول 1957 / 1377 هـ، ص 108.

37) ابن الأبار: الحلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط القاهرة، 1963، ج 1، ص69.

38) سعد عبد الحميد زغلول: المرجع السابق، ج2 ، ص 375 – 377 .

39) إحسان عباس: تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع بنغازي، ط1، 1387 هـ/1967 م، ص56.

40) الشماخي : المصدر السابق ، ص 154 ، 155

41) محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب ألإسلامي دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1987/1408 م، ص127.

42) يذكر المقريزي أن إيكجان جبل قرب قسنطينة فيه قبائل كتامة وهم كرام وقد فنوا .المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، ط2، القاهرة، 1996، ج1، هامش1، ص57؛ وهو في منتصف الطريق بين طنجة وفاس، وكانوا يطلقون عليه في قديم الزمان Tazajjan لأنه محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، ط2، 1908، ص48.

43) فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، التاريخ السياسي والمؤسسات، نقله إلى العربية: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص86-87.

44) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، 184-296هـ/800-909م، تعريب: المنجي الصيادي، وحمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ط2، 1995، ص670.

45) مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص 41.

46) فرحات الدشراوي: المرجع السابق، ص87.

47) ولد مخلد بن كيداد حوالي 270 هـ/ 883م، في تيقيوس من بلاد قسطيلية، جنوب تونس وتوفي في 27 محرم 336هـ/19 أوت 947 م، وقد قاد الثورة وعمره ستون سنة، وقد وجد أسماء ستة من أجداده عربية، وهو دليل على أن أسرته اعتنقت الإسلام مبكرا، وحتى كلمة أبي يزيد ليست عربية وإنما هي بربرية والأصل" بو زايلة" وتعني "صاحب الحمار" فبو معناها صاحب وزايلة معناه الحمار. مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول، الاسكندرية، 1958، ص 156؛ وياقوت الحموي :المصدر السابق، ج2 ، ص37.

48) ولفرد مادلونغ: ثورة أبي يزيد الخارجي صاحب الحمار في الأوراس، ضمن أعمال ملتقى الفكر الإسلامي الثاني عشر، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1978، ج2، ص267.

49)ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص269.

50) الدرجيني: المصدر السابق، ج1 ص96-98؛ وولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص269.

51) طبقات المشايخ، ج1، ص98.

52) هم قوم من هوارة كان موطنهم أوراس وقفوا إلى جانب أبي يزيد طيلة ثورته وقد قتل منهم الكثير في موقعة الرؤوس قرب باتنة. ابن خلدون: العبر، ج7، ص34. والظاهر أنهم لم يندمجوا في هوارة الأوراس بل شكلوا قبيلة منفصلة ولا نعلم إذا كان بعض بني كملان يسكنون بجبل أوراس نفسه، غير أن وطنهم المشهور هو أرض المسيلة، حيث كان أبو القاسم القائم لما مر بهذه الناحية في غزوة للمغرب سنة315 هـواختط مدينة المسيلة أخرج بني كملان منها ونقلهم إلى فحص المهدية فمازالوا هناك إلى غاية ثورة صاحب الحمار.ولفرد مادلونغ: المرجع السابق، ص 270.

53) ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص30.

54) هو أبو القاسم محمد بن عبيد الله القائم بأمر الله، تولى الخلافة بعد وفاة المهدي(297-322هـ)/(909-934م) ويقال أن اسمه نزار" ولقب بالقائم بأمر الله. مزهودي مسعود: الإباضية في

المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، المطبعة العربية، غرداية، 1996 ، هامش ص70.

55) المقريزي :كتاب المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1991، ج2، ص179.

56) وهنا تلقب الخليفة بالمنصور، وبنى مدينة صبرة وسماها المنصورة في 337 هـ .ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5 ، ص391.

57) خربت من قبل يوسف بن حماد بن زيري سنة 440 هـ . البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب، مكتبة النثى، بغداد، د ت، ص 60 .

58) استأمن نفسه وأتباعه فاشترط عليه حماد الجلاء عن بلاد الجزائر، فخرج زاوي يومئذ في فئته وابناء أخيه إلى الأندلس سنة 391 هـ/ 1001 م ملتحقا بالمنصور بن أبي عامر فأكرم المنصور وفادتهم ثم كان لهم بعد ذلك شأن وملك هناك .ابن الخطيب: تاريخ المغرب في العصر الوسيط . القسم الثالث من كتاب أعمال الأعمال تح: احمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الرباط، ط1964،1، ص 78 .

59) شوقي ضيف: عصر الدول و الإمارات، ط1، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 32 .

60) إسماعيل العربي : دولة بني حماد ملوك القلعة و بجاية، ب ط، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص 119 .

61) مجهول: الإستبصار، ص130.

62) الرحلة المغربية، تحقيق بن جدو، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، 1964، ص23.

63) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص82.

64) ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب ألإسلامي، بيروت، لبنان، السفر الثاني، ط3، 1987، ص149.و بها قبري عبد المؤمن والمهدي بن تومرت.مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص112.

65) مخنار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج1، ص9.

66) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بغيرا، ش و ن ت، الجزائر، 1918، ص109 .

67) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضود، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص29 .

68) محمد رمضان شاوش: باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، د م ج، الجزائر، 2011، ج1، ص69 .

69) تقع بجبل بني سنوس غرب تلمسان، شيدت على صخرة وجعله ملوك تلمسان في حالة تأهب دفاعي. ينظر الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1983، ص11-12.

70)الهادي مصطفى أبو لقمة، و محمد علي الأعور: الجغرافيا البحرية، الدار الجماهرية للنشر والإعلان ليبيا، ط2، 1999، ص76.

71) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ج2، ص185.

72) ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992، ص78.

73) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989، ج1، ص258.

74) مجهول: الاستبصار، ص130.

75) Gsell Ct; Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928.F^{lle} n°30 Nemours, Cartes.

76) الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن10 إلى القرن12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992، ، ج2، ص115.

77) شافية شارن: عنابة الميناء والمدينة "هيبون"، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، بين 7-8 ديسمبر2009، ص310.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

78) ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967، ص93.

79) إسماعيل العربي: : دولة بني حماد، ص249.

80) موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/1014-1152م) رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص92-93.

81) مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص219.

82) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54-55.

83) Robert. Mantran; La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-I bahriye de PIRI REIS, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n°15 - 16, 2éme semestre, 1973, p. 166.

84) المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ودار صادر، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1991، ص246.

85) المقدسي البشاري: المصدر السابق، ص247.

86) نفسه، ص246.

87) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص82.

88) عبد الباسط بن خليل الملطي: رحلته إلى شمال إفريقيا، ترجمة روبير برانشفيك، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، مج 185، 1994، ص40.

89) البكري: المغرب، ص76 .

90) أنظر: معجم البلدان، ج 4، ص390.

91) ابن حوقل: صورة الارض، ص78.

92) البكري: المغرب، ص70.

93) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص104.

94) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960، ص502.

95) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، مصر، 1997، ج2، ص190.

96) نفسه، ج1، ص197.

97) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259-260.

98) Robert. Mantran ; Op. Cit, p. 165.

99) المسالك والممالك، القسم الخاص بالمغرب، دوسلان، ط2، فرانكفورت، 1993، ص117.

100) أنظر: نزهة المشتاق،ج1، ص259.

101) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970 ص140.

102) مارمول: إفريقيا، تحقيق، محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984، ج1، ص38.

103) مارمول: المصدر نفسه، ج1، ص39.

104) البيذق: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، طبع وزارة الثقافة الجزائرية، 2007، ص36.

105) محمد الطويل: النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط، 1996-1997، ص232.

106)الدراجي بوزيان: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص40.

107)نفسه، ص41..

108) محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط6، 1994، ص24.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

109) الونشريسي: المعيار المعرب، نشر وزارة الأوقاف المغربية، 1981، ج1، ص279، ويذكر البكري أن أهل جبل غمارة كانوا أشرارا يثيرون الشغب ويتمردون على الولاة. المغرب، ص190-192؛ ويؤكد الونشريسي هذا الكلام أن جبل غمارة قرب مدينة بني تاودا بالمغرب الأقصى كان يسكنه طغاة غمارة العابثين بتلك النواحي. المعيار، ج3، ص279.

110)الونشريسي: المعيار، ج3، ص279.

مجلة الدراسات التاريخية